وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الأمانة العامة للأوقاف

مجلة البيان

مؤتمر تعظيم حرمات الإسلام

دور الحركات الإسلامية

في محور استراتيجية المواجهة

د. عبد الوهاب بن لطف الديلمي

الأعمال الخيرية

دور الحركات الإسلامية

(مدخل)

الغرض الذي قامت من أجله الجماعات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فما من جماعة من الجماعات الإسلامية القائمة اليوم، إلا وكان غرضها وهمها الأول من نشأتها، وبناء كيانها، وتكاتف أفرادها، هو القيام بحق الوراثة النبوية من الدعوة إلى الله عز وجل، ونصرة دينه، وإحياء العلم الشرعي... إن دعوة هذه الجماعات الربانية- كما نحسبها - ما قامت إلا من أجل جمع الشمل، وتوحيد الصف، والعودة بالأمة إلى مصادر قوتها وعزتها، المتمثل في هذا الدين الخاتم، الذي رضيه الله عز وجل لنا، القائم على الوحي الإلهي المعصوم، والمحفوظ بحفظ الله عز وجل لكتابه ولسنة رسوله ﷺ، ثم ما أجمع عليه سلف الأمة من الأصحاب والتابعين لهم بإحسان وإذا كانت هذه أهداف الجماعات الإسلامية كلها، وهي أهداف غاية في النبل والسمو والرفعة، أفيليق بها أن تعيش في جو من التباغض والتناحر، وسوء الظن، والقطيعة، وكيل الاتهامات، وإقامة الولاء والبراء على جزيئات لا تستحق كل ذلك.

أليس من أصول أهل السنة والجماعة؛ الحرص على جمع الكلمة، وتوحيد الصفوف، وتآلف القلوب القائم على توحيد الإتباع، وإزالة عوامل النزاع والخلاف بين المسلمين- ما أمكن - ومتى جازت - في شرع

الله سبحانه- الفرقة بين المسلمين المؤدية إلى الفتنة فيما بينهم، أليس من الواجب رد المتنازع فيه والمختلف فيه بين المسلمين إلى كتاب الله سبحانه، وإلى سنة رسوله ﷺ، وما كان عليه السلف الصالح. أليس الأصل في دين الله عز وجل حمل جميع المسلمين على سلامة القصد والمعتقد، وأن يحمل كلامهم على المحمل الحسن ما لم يظهر خلاف ذلك؟

ألم يفرض الإسلام على أتباعه إحياء التناصح مقروناً بالأدب، وحسن العرض، ووضوح الحجة، والخضوع والاستسلام للحق، إغلاقاً لباب الفتنة ومنافذ الشيطان. إن الإنصاف والعدل من سمات أهل الحق، الذين يراعون حق الله عز وجل وحده، إذا ما تعارض مع حظ النفس، أو الطائفة أو غيرهما، كما أنهم أبعد الناس عن الجور حتى على العدو، كما لا يغمطون حقاً ولا فضلاً لأهله، ومع ذلك فإنهم لا يقدسون الأشخاص مهما كنت منزلتهم، إذ لا عصمة عندهم إلا لمن عصم الله عز وجل، قاعدتهم في ذلك مقولة الإمام مالك رحمه الله: " كل يؤخذ من قوله ويرج إلا صاحب هذا القبر" وغيرها من المقولات الشبيهة بها، والمنقولة عن أئمة الفقه الإسلامي رحمهم الله، ذلك أن الأصل هو: معرفة الرجال بالحق لا معرفة الحق بالرجال.

إن المطلوب في حق هذه الجماعات - وهي على هذه الكيفية - والمكانة السامية التي تبوأتها - أن تكون على مستوى عال من المحبة والألفة فيما بينها، وأن تترفع عن المهاترات ومظاهر السقوط الذي لا يليق بها، وأن تتذكر دائماً قول الحق تبارك وتعالى: {وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ

ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ} [آل عمران/ ١٠٣]، وإذا كان الله عز وجل قد خاطب بهذه الآية أصحاب رسول الله ﷺ في الدرجة الأولى، فإنه كذلك خطاب لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة، والمتأمل في الآية يجد أن الله عز وجل لم يمتن عليهم بالهداية إلى الإسلام بعد الكفر، ولكنه امتن عليهم بتآلف القلوب بعد عداوتها، ولعل في ذلك إشارة إلى أن الإيمان الذي لا يثمر المحبة الصادقة مدخول، وقد جاء بعد هذه الآية التحذير من التشبه باليهود والنصارى فيما وقعوا فيه من الفرقة والاختلاف، قال تعالى: {وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ} [آل عمران: ١٠٥].

خطر فساد ذات البين:

إننا نذكر إخواننا أبناء الجماعات الإسلامية، ما يبذله أعداء الإسلام من جهود كبيرة قديماً وحديثاً في محاولتهم طمس معالم الدين، والإتيان على قواعده، وهدم معاقله، وصدق الله القائل {يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ} [التوبة: ٣٢]، وأقرب طريق للوصول إلى مآربهم، هو اختراق الأمة من الداخل، وإذكاء نار الفتنة بإحياء النعرات، وبث الفرقة والاختلاف بين المسلمين، وجعلهم طوائف، وفرقاً، وشيعاً، وأحزاباً، وقد بذلوا- وما يزالون يبذلون -كل الوسائل لتمزيق الأمة وتشتيتها .. على مستوى الحكام، والشعوب، والجماعات، والمذاهب وغيرها، حتى لا تقوم للإسلام

قائمة، ولا تجتمع للمسلمين كلمة وحتى تستباح بيضة الإسلام، ولن يمكنهم الله من مرادهم: {وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ} [يوسف: ٢١].

والكل يعرف ما عمله الأعداء من تقويض دعائم الخلافة الإسلامية، وتقطيع الأمة الإسلامية إلى أوصال ممزعة، وبث الأفكار: القومية، والوطنية،والعنصرية، فكانت النتيجة المرة، هو ما آلت إليه أحوال الامة اليوم على الخارطة السياسية، والجغرافية، من تمزيق للأمة إلى دويلات ذهبت- بسبب ذلك- ريحها، وفقدت الأمة هيبتها، وما تبع ذلك من استعمار لمعظم العالم الإسلامي،ترك آثاراً سيئة في أوضاع الناس الأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وفرض الاحتكام إلى غير شرع الله سبحانه، إلى غير ذلك من المآسي التي ما يزال المسلمون يعيشون معاناتها إلى اليوم، مثل ظهور التشوهات التي أصابت أحوال الأمة في عقيدتها، وسلوكها، وعبادتها، وعلاقاتها، ومعاملاتها، وبروز سحب الجهل التي خيمت على عقولها، وغير ذلك من الأمراض الاجتماعية على مستوى الفرد، والأسرة والمجتمع.

إن الجماعات الإسلامية معدودة في صفوة الأمة بعد أن حملت على عاتقها القيام بالدعوة إلى الله عز وجل، وارتضت لنفسها أن تكون من أصحاب الوراثة النبوية، وصارت في مرتبة القدوة والأسوة لغيرها، فكل مواقفها محسوبة على الإسلام ... من أجل ذلك فإننا نقول لإخواننا في الجماعات الإسلامية، احذروا كل سبب يؤدي إلى الصراع

فيما بينكم، وأن تكونوا سببا في الاختراق من عدوكم، ولا يغرنكم الانتماء إلى أي جماعة من الجماعات، فالجماعات وسيلة وليست غاية وإن المؤسسات قد تنشأ ويقيمها أصحابها من أجل تحقيق أهداف كبيرة ولكنها ما تلبث- أحياناً - ان ينسى أصحابها أهدافهم الجسمية، عند ما يخافون على مؤسساتهم من الضياع والاندثار، فيتحول الهم - حينئذ- إلى الهم على الحفاظ على المؤسسات، وتغيب من الأذهان - أو تضعف - العناية بالأهداف التي ما قامت المؤسسات في الأصل إلا لتكون وسيلة لتحقيقها، ثم ما تلبث هذه المؤسسات أن تنسى، عندما يبالغ المنتمون إلى هذه المؤسسات في التعلق بالقائمين عليها، وتقديسهم، فيصبح التعلق بالأشخاص هو المهم الأول، ويصبح العمل للأهداف في الحدود التي لا تمس بالمؤسسات أو بالأشخاص، ويصبح أمر الأهداف ثانوياً، وهنا يتحول الصراع - من صراع بين الحق والباطل - إلى صراع بين المؤسسات المتنافسة، من أجل الذود عن الأشخاص، أو عن المؤسسات، ويضيع كل شيء في غمرة الصراع الداخلي، الذي استطاع الأعداء في مثل هذا الجو أن يخطوا خطوات متسارعة لتحقيق أهدافهم من خلاله، فقد وجد في العالم الإسلامي أنظمة سائرة في ركب الأعداء منفذة لمخططاتهم في حمل معاول الهدم، بما تقوم بهم من محاولات لتمزيق وتشتيت الصوت الإسلامي، وإقامة مساجد الضرار، وجعل الأبواب مشرعة أمام الفرق الضالة، والدعوات الهدامة التي تتقمص الإسلام، وهي تسعى في محاربته والكيد له، على غفلة من الدعاة وأصحاب المبادئ، وانشغالهم بقضايا جانبية.

الإسلام أولاً والجماعات ثانياً:

إن شدة الحرص على الكيان من أن يتعرض- هو أو بعض أفراده لأذى - قد يحمل على التهاون في القيام بواجب الأمر والنهي، والصدع بالحق، مع ماقد يرى من شيوع المنكرات، بل ربما استحلال بعض المحرمات، التي قد يقنن لها أصحابها، ويحمونها من الاعتداء عليها، ويجعلون الإنكار عليها أو الإقدام على تغييرها جريمة يعاقب عليها القانون، وقد يجاهر بها أحياناً.

الابتلاء سنة إلهية:

وفي هذه الحال ينسى أصحاب هذا الكيان واجبهم في إحياء دين الله، والتصدي للمنكرات، كما ينسون أن من لوازم ذلك التعرض للابتلاءات، وأن تلك سنة إلهية ماضية، تعامل معها من هو خير منهم من الأنبياء والصادقين من أتباعهم، قال تعالى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا} [الأنعام: ٣٤].

إن الداء إذا استفحل، وتمكن المرض من الأمة، وكثر الانصراف والإعراض عن دين الله عز وجل سيؤدي حتماً إلى عموم الفتنة، وحينئذ لا يسلم أحد من شرها، لا فرد والجماعة، وإن الخير كل الخير، في القيام بالواجب، قال تعالى: {وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً} [الأنفال: ٢٥] مع الصبر على ما يصيبهم في سبيل ذلك.

الدعوة إلى الله عز وجل في صفوف المسلمين:

إن من أهم أولويات الجماعات الإسلامية، وهي تريد أن تتصدى لكل ما يسيء إلى الإسلام أن تقوم بواجب الدعوة إلى الله عز وجل، وإحياء الأيمان في نفوس الناس، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعادة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين وتوثيق أواصر المحبة بين المؤمنين، إلى غير ذلك مما يفرضه عليها دينها، مثل الدعوة إلى ربط الإيمان بآثاره المترتبة عليه، من حسن التعامل بين الأفراد بمراعاة الحقوق الخاصة والعامة، ولزوم الصدق، وتحري الحلال في الكسب، وتوقي المعاصي، وعدم الركون إلى مجرد دعوى الإيمان وسلامة العقيدة، الذي قد يجر صاحبه إلى الوازع الإيماني، كما ضعفت عندها الغيرة على دين الله ووجدت تشوهات كبيرة في ممارسة العبادة واختلالات في العقيدة، وبرزت في المجتمعات المسلمة دعوات نشاز تهدف إلى استدراج المسلمين تحت لافتات مصطنعة لتفتنهم عن دينهم.

إن التوجه إلى التصدي للأعداء الذين يتطاولون على ديننا، دون مراعاة للجوانب الأخرى، والعوامل التي أوجدت ثغرات في جسم الأمة المسلمة، يحمل نظرة قاصرة في معالجة الأمور، لأن كل هذه الأمور متضافرة، آخذ بعضها بحجز بعض لا يتم معالجة بعضها إلا بالاهتمام بالبعض الآخر.

إن الغرض من هذا المدخل إلى الحديث عن واجب الجماعات الإسلامية، هو التذكير بهذه الأسس التي لا يتأتى القيام بالواجب على الوجه المطلوب مع إغفالها والتغاضي عنها، أو التهاون بشأنها، أو إقصاء بعضها عن سلم الأولويات؛ وأنه لا بد- لنجاح الجماعات فيما

تقوم به جانب الدفاع عن دينها والتصدي في وجه أعدائها - من العودة إليها والتزامها، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. فالواجب إذن - في هذه المرحلة العصبية من حياة المسلمين -: سلامة الصدور، وحسن الظن، وإحياء التناصح، والالتزام بتحكيم الشرع عند كل خلاف، وعدم إقامة الولاء والبراء على أساس جزيئات يمكن إعذار صاحبها فيها، وتوحيد الجهود والمواقف، والتنسيق في كل موقف جماعي، حتى يصدر الجميع عن رأي موحد واستعادة ثقة الأمة بدينها وعلمائها، وانتشال الناس من الحيرة التي أوقعهم فيها كثرة الاجتهادات والطعن والتشهير والتشكيك في النوايا والمواقف والاجتهادات، والعمل على إعادة الأمة إلى دين الله على بصيرة ومعرفة وحسن استقامة.

إن تشتيت الجهود، وتباين المواقف، وتبديد الطاقات والظهور أمام العدو بمظهر المختلفين والمتناحرين، يوهن من عزائم الأمة، ويضعف من تأثير المواقف في نكاية العدو، وقد يستغل العدو هذا الوضع فينفذ منه لتحقيق مآربه.

وما من جماعة إلا وهي واضعة في قائمة أعمالها أولويات، ترى أن البدء بها أولى وأهم من غيرها، وقد تختلف النظرة إلى هذه الأولويات من جماعة إلى أخرى، غير أننا نقول لأي جماعة - لا تجعل من أولوياتها الدفاع عن دين الله عز وجل، وعن كتابه ورسوله – إن من واجبك أن تعيد النظر في ترتيب هذه الأولويات ، وأن أي قضية تشدك إليها وتصرفك عن هذه القضية، ما هي إلا دليل على أنه لم يحالفك الصواب والتوفيق، وأن مقتضى الغيرة على دين الله سبحانه يستوجب المسارعة

إلى تبني هذه القضية التي تعتبر من أمهات قضايا الساعة، نظراً إلى أن الإسلام مستهدف من قبل أعدائه، على غفلة من أتباعه، وأن التغاضي عن هذا الأمر سيجرئ أعداء الإسلام إلى ما هو أعظم من هذا. إن الأعداء يستحيل عليهم أن يستهينوا بديننا، أو أن يسيئوا إلى رسولنا ﷺ أو يعرضوا الكتاب العزيز للإهانة، أو يفعلوا غير ذلك، مع تكرار ذلك بين الحين والأخر، لو أن الأمة كانت في مكان ترهب، وذات كيان موحد يحسب لها ألف حساب، غير أن الثغرات كثرت في جسم الأمة مما مكن الأعداء من النفوذ منها إلى تحقيق أهدافهم في النيل من ديننا ومقدساتنا ولذلك كان لزاما على الجماعات الإسلامية وهي تتصدى لهذه الهجمة الشرة على دين الله عز وجل أن لا يكون عملها بعيداً عن مراعاة واقع الأمة الإسلامية اليوم و؟أن تولي اهتماما كبيرا لدراسة الأمراض التي استحكمت في الأمة وبالتالي العمل على معالتها نظراً إلى كونها – في نظري- أهم سبب دفع الأعداء إلى مثل هذه المواقف، فلا بد إذن من استكشاف مكامن الضعف التي أصابت الأمة حتى أوصلتها إلى الشعور بالنقص والتبعية لأعدائها وحاجتها إليه في كل صغيرة وكبيرة حتى آل الأمر إلى استنزاف ثرواتها وتقطيع أوصالها واحتلال أراضيها وجعل أسواقها أماكن لاستقبال وتصريف بضائع أعدائها ومنتجاتهم ، وحتى صارت حياتها كلها مرهونة بما تجلبه من عدوها فأصبحت بذلك تعيش تحت رحمة عدوها لا تستطيع الاستقلال بنفسها ولا الاستغناء عن عدوها بل آل الأمر بأصحاب رؤوس الأموال أن يستثمروا جل أموالهم في ديار عدوهم وهم يدركون مدى ما يمكن أن

يستفيد عدوهم من هذه الأموال وأنه يعود من خلال ذلك بالضرر على أمتنا كل ذلك وغيره مما ينخر في جسم الأمة جرا عليها عدوها، حتى استضعفها، واستخف بها، وحمل حكامها على الاستسلام المطلق لما يريده العدو، ولأكثر مما يريده.

وضع الحكام مع شعوبهم:

ومن عوامل الهدم في الأمة، ما يقوم به الحكام في حق شعوبهم من ممارسة الإذلال ومصادرة الحريات والحقوق المشروعة وملاحقة الدعاة والتضييق على الناس في معاشهم ومن الإساءة في استخدام وسائل الإعلام في توجيه الأمة والحرص على تخريج أجيال جاهلة بدينها وواجبها نحو نفسها وأمتها والتي فقدت الجانب التربوي في المدارس والجامعات وأخمدت جذوة الجهاد في نفوس الأمة وجففت منابع الدعوة ومصادر التكافل الاجتماعي وعمل على إشاعة وسائل اللهو واللعب بل رصدت الجوائز والحوافز للمبدعين في ذلك وأخذ هذا الجانب مساحة كبيرة من وسائل الإعلام وصرف الناس عن اهتماهم بكثير من معالي الأمور وفرض الغلو في تقديس الحكام حتى رصدت الجوائز والحوافز للمبدعين في ذلك وأخذ هذا الجانب مساحة كبيرة من وسائل الإعلام وصرف الناس عن اهتمامهم بكثير من معالي الأمور، وفرض الغلو في تقديس الحكام حتى كاد الولاء أن يتحول من ولاء لله ولرسوله وللمؤمنين إلى ولاء للحكام وصار النيل من الحكام حتى لو كان بالحق أمراً محظوراً أو كما يقال خطا أحمر وولي على رقاب الناس من ليس أهلاً للولاية حتى تمكنوا من السيطرة على مفاصل الدول

وهمش أصحاب الأمانة والاستقامة والكفاءة وأهمل جانب الإعداد الذي أمر الله به مادياً ومعنوياً الأمر الذي لا بد من معالجته للخروج من أزمة الاستضعاف والتبعية اللذين يمارسهما على الأمة أعداؤها كما أهمل جانب إعداد الأمة وتأهيلها للجهاد وحب الاستشهاد حتى يتحقق للأمة ثمرة ذلك: {تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ} [الأنفال: ٦٠] كل هذه الممارسات وأشباهها وردت أزمة علاقات بين دعاة والحكام حتى اتسعت بمرور الأيام الفجوة التي ولدت فجوة وتبينت أساليب الدعاة والحكام في توجيه الأمة إذا انحصر هم الحكام في الغالب في شؤون الدنيا مبتورة عن الاهتمام بشؤون الآخرة بل تقوم بعض مصالح الدنيا أحياناً على حساب الدين إذا فرضنا أن هناك مصالح يمكن أن تتحقق بدون دين وأصبح العلماء والدعاة في معزل عن كل ما يدور ليس يستشارون في أمراً ولا يسمع لنصحهم بل لا يسلمون من اللمز والطعن وسوء الظن وكيل الاهتمامات الباطنة لهم وربما شعروا في الغربة في ديارهم حتى أصبحت بضاعتهم كاسدة لا يملكون ما يملكه أصحاب الدنيا من الوسائل والأساليب التي يرجعون من خلالها بضاعتهم فإننا نرى الوسائل والأساليب التي تفنن أصحاب الدنيا فيها حتى فتنوا الناس بالمبتكرات الدنيوية ووسائل الراحة والرفاء أصبحت بسببها بضاعتهم رائجة عند الناس بل ربما لا يسلم بعض الدعاة من الوقوع في شرك هذه الإغراءات وصار المفتونون بالدنيا غارقين بكماليات يتسابقون عليها ويبحثون عن كل جديد من صور المتاع الدنيا واللذة

الدنيوية مما شغلهم عن كثير من واجباتهم الشرعية وهذه أيضاً من عوامل الفتنة في المجتمعات ومن أسباب الانصراف عن الواجبات بينما نجد الدعوة إلى الله عز وجل لم تأخذ حظها من الرواج في نفوس الناس حتى يقبلوا عليها ويتعلقوا بها ويكون لهم بها حب وشغف: {قُلْ مَتَاعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [النساء: ٧٧].

الخطوات العملية للقيام بالواجب نحو الأمة:

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يمكن للجماعات الإسلامية أن تقوم بواجبها في انتشال الأمة من هذا السقوط ومن هذا الوضع المزري وأن تخرج من التقوقع على نفسها والانشغال بأمور جانبية أحياناً والإغراق في الجانب النظري إلى الإلتحام بالأمة وتربيتها تربية عملية بجهود متضافرة وخطة محكمة حتى تعود للأمة نقتها بدينها وعلمائها ودعاتها خاصة عندما ترى على أرض الواقع القدوات التي تذكر بسلف هذه الأمة من الصحابة وتابعيهم بإحسان بحيث يتجسد الإسلام في سلوكهم وعبادتهم ودعوتهم وتعاملهم مع الناس وجهادهم وعزوفهم عن الدنيا وإخلاصهم وصدقهم وسلامة محبة بعضهم لبعض من كل ما يخدشها.. إلى غير ذلك من مقتضيات الربانية التي هي من لوازم الدعاة المصلحين.

ثم أنى للجماعات الإسلامية، أن تقوم بمواجهة الذين يغرقون في إيذائنا من خلال الطعن في أقدس شيء عندنا مع ما يرونه من غلبة الجهل الذي أصاب الأمة ومن شتاتها وضعفها وضعف ولائها لدينها

وانغماسها في متاع الدنيا واللهث وراءه إذ ليس المطلوب من المسلمين اليوم القيام بمواقف آنية وردود فعل سرعان ما تنتهي وتتلاشى كونها قائمة على مجرد عواطف أججها الحب العاطفي لدينها ثم هي موقف غير مدروسة – في كثير من الأحيان ولذلك لا تؤتى ثمارها لأنها عبارة عن نزق وطيش لم تكن ناتجة عن دراسة ووعي وربما أدت إلى نتائج عكسية يستغلها الذين يتربصون بالإسلام ويسعون إلى تشويهه ونحن نخشى من استمرار الأعداء في هذا التطاول الذي يواجهه العامة بردود فعل حماسية آنية أن ينطفئ هذا الحماس مع مرور الأيام ويتبلد الإحساس خاصة إذا لم ير الناس مواقف من العلماء والدعاة تتكافأ مع الحدث، لذا لا بد من الارتقاء بمستوى الوعي عند الأمة من خلال:

١. توعيتها بحقائق الدين حتى يتم الوصول إلى تحصينها في دينها وعقيدتها من كل اختراق ومن كل شبهة وشهوة،وتعريفها أيضا بالمواقف العملية النافعة في صد العدوان وذلك من خلال الرجوع إلى أهل العلم والرأي وأصحاب التجارب من الدعاة وغيرهم هذه المواقف التي من شأنها أن ترجع الذين يرتعون في حمانا، من الحاقدين والمتربصين والمنساقين وراء تيار الإساءة إلى الإسلام.

٢. توعية الأمة بمكانة الرسول ﷺ عند الله عز وجل، وفضائله وشمائله، وخصائصه وفضله على سائر الخلق وأنه أعلاهم درجة عند الله وأقربهم زلفى الجامع لمكارم الأخلاق أكثر الناس خوفاً وخشية وعبادة لربه.

٣. بيان الواجب نحو الرسول ﷺ من تعظيمه، وتوقيره، وكمال محبته، ومتابعته، والاعتصام - بسنته، والإيمان بعصمته، وكمال صدقه، ووفور عقله ورجحانه، وأدائه لرسالة ربه تعالى من البلاغ والبيان المبين.

٤. بيان الواجب نحو سنته من العناية بها والدفاع عنها ونشرها والاستمرار في خدمتها وبيان منزلتها من الكتاب العزيز والتحذير ممن يقلل من شأنها أو يدعو إلى الاستغناء عنها وتفنيد الشبه التي تقوم عليها كل دعوة باطلة.

٥. بيان حال أهل الكتاب والمنافقين، وما هم عليه من العداوة المتأصلة في نفوسهم للإسلام وأهله، وكتابه ونبيه ﷺ بالاستناد إلى النصوص الشرعية الواردة في ذلك ونذكر على سبيل المثال مما ورد في ذلك قوله تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} [آل عمران: ١١٨] {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: ١٢٠] {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ} [البقرة: ١٠٩] ومما جاء في شأن المنافقين، قوله تعالى: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ} [التوبة: ٥٤] {وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ} [التوبة:٦١]

{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ} [التوبة: ٦٥-٦٦] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة في الطائفتين، والتي لا تخفى والتي يجب تعميق معانيها في نفوس المسلمين لتتحقق من خلل ذلك البراءة من أعداء الإسلام وعدم الاغترار بهم أو الافتتان بهم ومعرفة ما تكن صدورهم من الحقد والكراهية، والكيد والمكر، الذي صار سجية لهم في تعاملهم مع المسلمين على مدى التاريخ، والذي لم يتغير حتى اليوم، فوضع الأقليات المسلمة اليوم في الأكثرية الكافرة خير شاهد على النظرة القاتمة التي ينظر بها الكفار - على اختلاف مشاربهم - إلى المسلمين وشدة كراهيتهم للإسلام وأهله، وأن الحرية في الرأي أو المعتقد أو السلوك التي يتشدقون بها ما هي إلا سراب عند التعامل مع المسلمين. والذي يعود إلى الكتب والمجلات التي تحدثت عن أوضاع الأقليات المسلمة في الصين أو الهند أو روسيا أو البوسنة وما واجهه المسلمون من وحشية الصرب، وكذا الحال في سريلانكا وغيرها من بلدان العالم ذات الأقليات المسلمة يجد أنواع الاضطهاد والإبادة والتشريد، ومحاولة طمس الهوية الإسلامية بشتى الوسائل الأمر الذي ما تزال أيدي المتعطشين إلى دماء وأعراض المسلمين ملطخة بها حتى اليوم بل لم تطق نفوسهم أن تتحمل رؤية طالبات المدارس المسلمات وهن يرتدين قطعة من القماش على رؤسهن، هذا الظواهر التي لا تحصر تعطينا صورة واضحة جلية عن أعدائنا، الذين ما نزال نحسن بهم الظن،

ونسمع أصواتاً تدافع عنهم، وتبرئ ساحتهم، وتسعى إلى التقارب معهم، حتى تظهر حسن النوايا عند من يكن لنا العداء وهو ما يزال يهدم المنازل على أهلها ويستبيح كل شيء في ديار المسلمين دون خجل، ولا حياء. ويفسر الإبادات الجماعية للنساء والأطفال والشيوخ؛ على أنه دفاع عن النفس كما يفسر الدفاع عن النفس والعرض والأرض بأنه همجية وإرهاب ويوجد في المسلمين من يدين أي صورة من صور دفاع المسلمين عن أنفسهم كما أننا لم نسمع ولو مرة واحدة من قساوسة النصارى أوأحبار اليهود من يدين المجازر الوحشية التي يرتكبها غير المسلمين في حق المسلمين.

بيان منهج الإسلام في الإنصاف مع العدو:

وإذا كان القرآن الكريم قد فضح انحرافات أهل الكتاب وتحريفهم وتبديلهم لكتبهم ومواقفهم من أنبيائهم بل إساءتهم إلى الرب سبحانه وتعالى ووصفه بما لا يليق بجلاله وكذا إساءتهم إلى رسول الله ﷺ وبيان ما هم عليه من الضلال والانحراف، فإنه - في كثير من الأحيان - لا يعمم الحكم، وذلك كقوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ} [آل عمران: ٧٨]. وقوله {لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ} [النساء: ١١٣] وهذا من كمال عدل الله سبحانه،حتى مع العدو الألد الخصم.

ومن منهج الإسلام في الإنصاف مع العدو وعدم تجاهل جوانب الخير عنده- وهذا شأن الإسلام، في عدم تجاوزه حدود الخصومة – فإننا نجد القرآن الكريم يمدح العلماء الصالحين من أهل الكتاب الذين عرفوا

القرآن حق المعرفة، وآمنوا بأنه منزل من عند الله سبحانه، لأنهم أقاموا الكتاب المنزل عليهم، وآمنوا بما فيه من بشارات، وذلك في مثل قوله تعالى: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ} [آل عمران: ١٩٩] وقوله سبحانه: ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۩ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا } [الإسراء: ١٠٧-١٠٨].

كما أثنى سبحانه على طائفة منهم لما ينزل بهم من الفرح عن سماع الوحي المنزل على رسول الله ﷺ لكونه مطابقاً للحق الذي بين أيديهم، وذلك في مثل قوله تعالى: {وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ} [الرعد: ٣٦].

لا بد - أيضاً - من بيان أن الإسلام دين الرحمة والسلام، وأصدق شاهد على ذلك، أنه لمن يكره أحداً من اليهود والنصارى- الذين عاشوا في ظل حكمه قرونا طويلة - على الدخول في الإسلام وعلى ترك دينهم ما داموا مسالمين، ولذلك نجد الإسلام يأمرنا بالبر بأهل الكتاب وغيرهم ممن يدين بغير ديننا من الذين لم يحاربونا، ولم يعينوا على حربنا فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى، {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين} [الممتحنة: ٨].

وهذا هو شأن الإسلام في العدل كل الأحوال،ومع كل الناس، وفي ذلك يقول الله تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: ٨].

ويقول عز وجل: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ} [المائدة: ٢].

كل هذه المواقف المتباينة، لا بد من تجليتها، وبيان وجه الحق فيها، سواء للمسلمين ليعوا حقيقة العلاقة بين الإسلام وخصومه من أهل الكتاب والمنافقين، وحتى لا يخدعوا بالشائعات المغرضة، وكذا تجلية الحق للذين لم يعرفوا الإسلام على حقيقته ممن يضلل عليهم من عامة أهل الكتاب الذين لم يعرفوا الإسلام إلا من خصومه الذين يشوهون، ويعرضونه بطريقة مزرية منفرة تشمئز منها النفوس.

وعلى من يعيش من أبناء الجماعات الإسلامية في الأوساط الكافرة أن يحسن عرض الإسلام بسلوكه المتميز، الذي يترجم به الإسلام واقعاً وتطبيقاً أولاً، ثم بالبيان قدر الإمكان مع توزيع الكتب الإسلامية، المترجمة إلى اللغات الأجنبية، حتى تتضح الصورة عند عامة أهل الكتاب وغيرهم.

وأخيراً فإننا نقدر جهود الجماعات الإسلامية في خدمة الإسلام في مجالات واسعة وكثيرة، كل حسب اجتهاده وإمكاناته، ونظرته إلى

الأولويات في سلم الدعوة إلى الله عز وجل، الأمر الذي لا يمكن إنكاره ولا غمطه، كما تتفاوت نسبها في القضايا ذاتها التي تواجه بالاهتمام والإصلاح.

إلا أنه لا بد من إعادة النظر في ترتيب الأولويات، بحيث تكون قضايا المواجهة مع الأعداء، ومن يحذو حذوهم، خاصة القضايا التي فيها إساءة مباشرة إلى كتاب الله عز وجل وإلى رسول الله ﷺ والتشويه المتعمد للإسلام، والجهود التي تبذل لطمس هوية المسلمين في الأقليات المسلمة، أو إبادتهم، او تهجيرهم أو العمل على تنصير المسلمين واستغلال الجهل والفقر اللذين يفتكان ببعض المسلمين في بعض بلدان أفريقيا، وأسيا، وغيرهما بحيث تكون كل هذه من القضايا التي يجب أن تأخذ الصدارة في الاهتمام، وأن تأخذ مساحة واسعة من التفكير والعمل الجاد، والجهود المتضافرة، وهذا يتطلب إمكانات مادية غير عادية، كما يتطلب تخصيص فريق عمل من أهل الاختصاص، علماً ودراية، واطلاعاً على مايدور في الساحة، ومواجهة كل الجبهات التي يؤتى الإسلام من قبلها بالأساليب المتنوعة والوسائل المتاحة، وما أكثرها اليوم، على أنه يجب حث أهل السعة في الرزق من أصحاب روؤس الأموال، ممن عندهم غيرة على دينهم أن يقوموا مسئولون - كغيرهم - عنهذا الدين أمام الله عزوجل، فكل مسلم على ثغرة، فلا يؤتين الإسلام من قبله، إذ لا قبل للدعاة من أبناء الجماعات الإسلامية بتوفير الإمكانات المادية التي تتطلبها وسائل الدعوة، مالم تتضافر جهود الجميع، فهذا التوجه يحتاج إلى استغلال بعض القنوات الفضائية،

وإصدار الكتيبات والمجلات، والنشرات، والأشرطة بأنواعها، وفتح عدد من المواقع في الانترنت، واستكتاب الكثير من أهل الغيرة، وتخصيص مراكز دعوية ، وتفريغ عدد من القادرين على ترجمة الكتب ذات الطابع الذي يفيد نشره في الأوساط غير المسلمة ورجمة النافع مما يصدر في ديار غير المسلمين وربما يحتاج الأمر على إرسال دعاة ممن يجيدون اللغات الأجنبية إلى ديار غير المسلمين للدعوة والحوار والمناظرة، وتوعية القاطنين من المسلمين في تلك الديار بواجبهم نحو دينهم، إلى جانب الدعوة إلى تقويم سلوكهم وضرورة التزامهم بالإسلام ليكونوا خير سفراء لدينهم وأمتهم إلى غير المسلمين، وحتى لا يكون سلوكهم البعيد عن الدين فتنة لغيرهم، أو ثغرة ينفذ منها أعداء الإسلام .

ولا يغيب عن الأذهان ، أن جهود الدعاة تحتاج إلى نظرة واقعية إلى ما نراه اليوم من كثرة مصادر التلقي، بتعدد القنوات، وتصدر الكثير للفتوى بدون أهلية، والتوهين من شأن العلماء مما أحدث فوضى عند كثير من العامة، وأجد بلبلة وحيرة، وصار كثير من أهل الأهواء يتخيرون من الفتوى ما يتناسب مع أهوائهم ومصالحهم الدنيوية،وحتى يعود الناس إلى مصادر التلقي الشرعية المنضبطة، فإن الأمر يحتاج إلى بذل جهود لا يستهان بها.

ولا بد أيضاً من مناصحة ولاة الأمر بالحكمة، وأن يبين لهم واجبهم، وأن حراسة الدين وسياسة الدنيا بالدين، وحسن اختيار الولاة والقضاة، والمحافظة على ديار المسلمين وثغورها، وإحياء الجهاد، وحسن الإعداد، وتجنب موالاة أعداء الإسلام ونشر الفضيلة والاهتمام بالتعليم

النافع وإطفاء أي فتنة يراد إيقاظها ومحاربة مظاهر الفساد وإقامة الحدود والمحافظة على ثروات المسلمين وحسن استثمارها فيما يعود بالنفع على المسلمين ويسد حاجة المحتاجين والعناية بدور العلم وبالمساجد وأئمتها وإفساح المجال للدعوة والحسبة وإقامة العدل بين الناس كافة كل هذه وغيرها من أولويات واجباتهم نحو دينهم وأمتهم التي سيسألهم الله تعالى عنها مع بيان أن الولاية في الإسلام ما شرعت إلا لمثل هذه المهام الجسام وأن صلاح الدنيا مرهون بتحقيق هذه الأمور فمصالح الدين والدنيا متشابكة لا ينفصم بعضها عن بعض فمن أراد الدنيا فعليه بالعناية بالدين ليجمع الله عز وجل له خيري الدارين كما قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦]، وقال: {وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا} [الجن: ١٦]، وقال: {فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدرارا ًويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً} [نوح: ١٠-١٢].

إن مواجهة الأعداء سواء الذين يسيئون إلى الإسلام، ويتطاولون على مقدساته وثوابته، أو الذين يعتدون إعتدء مباشرا على أبنائه وأرضه كل ذلك لا يمكن أن يؤي ثماره ويحقق مقاصده ما لم تسر الدعوة في هذه الخطوط المتوازية من إصلاح أحوال المسلمين وتعليمهم وتوعيتهم والعمل على عودة الوحدة الإيمانية إلى قلوبهم وحملهم على القيام بواجبهم نحو دينهم وكذا توجيه النصح لولاة الامور حتى يحسنوا

استخدام نفوذهم وسلطانهم وإمكاناتهم في خدمة دينهم وأمتهم ويقوموا بواجبهم الملقي على عواتقهم على الوجه المطلوب وإذا ما تضافرت الجهود وانتشر الوعي وقوي الإيمان واستقام السلوك واختفت مظاهر الجريمة والمعاصي في المجتمعات المسلمة وصلحت العلاقات بين المسلين وصدقوا في التعامل فيما بينهم وصلحت العلاقة بين العلماء والدعاة من جانب إذا ما تم ذلك فإن الجهود المباركة ستؤتي ثمارها بإذن ربها والخلاصة: لا بد من مواجهة مثل هذه المواقف التي تصدر من الأعداء والمتمثلة في تشويه الإسلام وكتابه ونبيه وأتباعه وذلك بالتزام المنهج الذي أرشد الله عز وجل إليه رسوله ﷺ وأصحابه وهو توجيه وإرشاد للمؤمنين إلى يوم القيامة فالإسلام هو الإسلام والقرآن هوالقرآن والرسول هو الرسول والأتباع في كل زمان يمثلون قافلة واحدة، وأمة واحدة والأعداء همالأعداء وقد قال عز وجل في بيان المواقف المتاشبهة من أعداء الرسل التي واجهوا بها دعوة الرسل، (وقال الذين لا يعلمون لو لا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) البقرة/ وقال تعالى: (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلى قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون) الذاريات/ ٥٢، ٥٣ (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) الإسراء/ ٩٥ وقال سبحانه: (ثم أرسلنا رسلنا تترا كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاَ وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون) المؤمنون/ ٤٤..

والأيات في هذا كثيرة جداً، وقد جاءت وصية الله عز وجل للمؤمنين كيف يواجهون مثل هذا الأذى الذي نالهم من أعدائهم، وهو المنهج الذي لا بد منه للمؤمنين في كل زمان، وفي كل حال،فليس هناك أهدى ولا أقوم من إرشاد الله سبحانه وتوجيهه لعباده المؤمنين، ومما جاء في ذلك قول الله تعالى(لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) آل عمران/ ١١٦.

فهذه الآية الكريمة فيها أمور متعددة منها:

١. أن هذا الخطاب فيها لكل المؤمنين.

٢. أن هذا ديدن أهل الكتاب والمشركين في إيذاء المءمنين، وأنه لن ينقطع في المستقبل (و لتسمعن).

٣. بيان حجم الأذى، وأنه كثير، مما يدل على كثرة صنوفه، والتفنن فيه.

٤. أن هذا الأذى لا يزاوله الأعداء عن طريق الهمس والنجوى، بل هو معلن ليصل إلى مسامع المؤمنين، لقصد التمكن من الإيذاء المطلوب الذي يبلغ منتهاه في نفوس المؤمنين.

٥. تضافر وتعاون أهل الكتاب مع المشركين في الوقوف صفاً واحداً ضد المؤمنين، ومن صور الأذى الذي مارسوه في حق المؤمنين؛ ما أخبر الله عز وجل عنه بقوله (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) النساء / ٥١

٦. بيان الأسلوب الذي يواجه به المؤمنون هذا الأذى، وأنه ينحصر في الصبر والتقوى

أما الصبر فلأن المؤمنين لا يفتؤون يواجهون ضروباً كثيرة من الابتلاءات في الأموال، والأنفس كما أن من دأب الأعداء وديدنهم أنهم لا يكفون عن إيذاء المؤمنين، للعدواة المتأصلة في نفوسهم على المؤمنين، وعلى ذلك فلا ينبغي أن تضيق صدور المؤمنين بما يسمعون، لأنه ضرب من الابتلاء، وقد جاءت الوصية من الله تعال لرسوله بذلك في اكثر من موضع كقوله تعالى (ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) النحل /١٢٧(ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم) يونس/ ٦٥

ذلك أن ظهور مثل هذا الأذى و العداوة من أهل المبادئ المناوئة للحق،وكذا أصحاب الشهوات غير مستغرب، بل لا بد أن يضيقوا بالحق وأهله ودعائه وبالتالي لا بد أن يكيدوا لهم وينسجوا حولهم الأباطيل والمطاعن،ويعرضوهم للأذى.

وعندما يقابل المؤمنون الأذى بالصبر وكظم الغيظ، وترك الانتقام – عندما يستوجب الامر ذلك وتقتضي المرحلة التعامل بذلك – مع الاستمرار في الدعوة إلى الله تعالى بالرفق واللين، والبلاغ المبين، وإقامة الحجج الدامغة – فإن ذلك قد يكون أقرب إلى استمالة المخالف بقبول الحق، وحمله على الاستجابة، وقد أوصى الله عز وجل بذلك في آيات كثيرة من كتابه العزيز، مثل قوله تعالى :

- (فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى) طه/ ٤٤

- (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) الجاثية / ١٤.
- (وإذا مروا باللغو مروا كراماً) الفرقان / ٧٢
- (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) الأحقاف / ٣٥
- (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فصلت / ٣٤

وقد أمر الرسول ﷺ بالقتال، والغلظة على الأعداء في مواطن أخرى، ومعنى ذلك: انه من الحكمة وضع الأمور في مواضعها الصحيحة. مراعاة للأحوال المختلفة، وهو في كلا الحالين يمتثل أمر ربه سبحانه

وأمر التقوى المأمور بها في الآية: فهي العاصم عن الزلل فكثرة المحن والابتلاءات تحتاج إلى تقوى، بالإضافة إلى الصبر الذي هو احتمال المكروه، ومن مقتضيات التقوى: الدفاع عن الحق وحماية المجتمع المسلم من أي اختراق يؤدي إلى إفساده، ومقارعة الباطل، وتفنيد الشبهات ودحض الافتراءات والخطاب عام لكل مؤمن لأن الكل مستهدف فالمسئولية ملقاة على عاتق كل مؤمن

والمتأمل في الآية التي تلت هذه وهي قول الحق تبارك وتعالى (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهرورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فلبئس ما يشترون) آل عمران/ ١٧٨

يرى أنها تشير إلى ضرب من الآذى الذي مارسه اليهود ضد رسول الله ﷺ من خلال كتمان الحق الوارد في التوراة ومنه صفات رسول الله ﷺ والبشارة به، واستبدال ذلك بالتهم الباطلة، والنقائص التي ألصقوها برسول الله ﷺ.

وأمر آخر.. وهو أن الخطاب في الآية كما أنه لأهل الكتاب، فهو خطاب كذلك للمؤمنين من أتباع محمد ﷺ بان يصدعوا بالحق، ويظهروه، ويدعوا الناس إليه، ويحذروا من التشبه بأهل الكتاب الذين كتموا وحرفوا وبدلوا.

الحكمة في التعامل مع الخصوم وغيرهم:

والذي أراه بالنسبة للجماعات الإسلامية، أنها ليست صاحبة سلطان ولا قرار، ولا تملك من الإمكانات ما تواجه به الأعداء ، وليس عندها من القدرات المادية ما تكافئ قدرات العدو، لأن مهمتها ما تزال محصورة في مجرد الدعوة إلى الله عز وجل ولذلك كان لزاماً عليها في كل موقف من المواقف التي تتخذها: سواء في الرد عل الأعداء فيما يصدر عنهم من الإساءات والإشاعات والشبهات والأباطيل كان موقفها موقف الدفاع وصد العدوان بالأساليب المتاحة وكذلك ما تقوم به إبتداء في تصدير الخير للغير وإقامة الحجة وبيان محاسن الإسلام وفضائله والترغيب في اعتناقه وفي كلا هاتين الحالتين لا بد أن تراعي هذا الأمر، أعني أنها جماعات مهمتها الدعوة إلى الله عز وجل وأن لا

يغيب عنها لك في غمرة الأحداث وفوران الغضب والرغبة في الانتقام من الخصم والتوجه إلى ردود الفعل غير المتزنة لأن أي موقف يؤدي إلى نتائج عكسية من شأنه أن يخرج بالجماعات عن مهمتها الأولى وقد يعطي فرصة للآخرين للنيل منها وإخماد دعوتها إضافة إلى أن الدعوة إلى الله عز وجل ليست قاصرة على دعوة طائفة معينة من الناس بل الواجب حمل الدعوة إلى الناس كافة إلى المسلمين بتصحيح أحوالهم في شئون دينهم ودنياهم وإلى غيرهم بجذبهم إلى الإسلام وإقامة الحجة عليهم لا فرق بين محارب وغير محارب – فكم من محارب تحول إلى مُوالٍ ومدافع ومحارب عن الإسلام بعد أن كان محارباً والأمثلة على ذلك في عصر الرسالة أكثر من أن تحصى ولم يكن الرسول ﷺ يتخير بدعوته طائفة دون أخرى، إذ لم تكن مواقف الأعداء من محاربته، والصد عنه وعن دعوته، واختلاق الإفك في حقه وتعمد التشويه مانعة له من دعوته لهم إلى دين الله عز وجل، وقد كان يقول «اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين» ويقول «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» كان يقول ذلك في أحلك الظروف، وفي قمة البلاء والمحنة .

إلى جانب ما يجب مراعاته من النظر إلى حال الأمة اليوم من الضعف، والشتات، والعجز عن المواجهة وقلة الناصر والمعين وكونهم لا يملكون إلا الكلمة – إن تمكنوا من إعلائها والصدع بها والدعاة اليوم ليسوا في حاجة إلى أن يكثروا على أنفسهم من الأعداء وفتح الجبهات المتعددة التي لا قبل لهم بمواجهتها كما أنهم لا يقدرون على الثبات في وجه العدو ورحم الله أمراً عرف قدر نفسه .

سائلاً الله عز وجل أن يجمع الكلمة، وأن يؤلف بين القلوب وأن يهب الجميع كمال الإخلاص لوجهه، وأن يكلل الأعمال بالنجاح والتوفيق

والحمد لله رب العالمين

د. عبد الوهاب بن لطف الديلمي

خلاصة البحث :

وخلاصة ما تضمنه البحث، تنحصر في النقاط الآتية:

١. على كل جماعة أن تتحمل مسئوليتها نحو دين الله عز وجل، وأن تدرك أنها لم تقم إلا من أجل أن تضطلع بواجبات جسيمة وأن تسعى لتحيقيق أهداف مرسومة في خدمة دين الله عز وجل.

٢. ضرورة بناء علاقة متينة بين الجماعات بحيث تكون قائمة على الأخوة الإيمانية وعلى التعاون على البر والتقوى وعلى حسن الظن وأن تكون مواقفها في القضايا العامة قائمة على التنسيق والتخطيط المحكم والمدروس بما يكفل تحقيق الأهداف المطلوبة.

٣. القيام بتوعية الأمة بشؤون دينها وبذل الجهد في حملها على العودة الصادقة إلى دين الله سبحانه وتعالى وجعلها في حال تدر ك معه خطر المؤامرات اليوم على الإسلام والمسلمين حتى تتضافر جهود الأمة

كلها في حماية الدين والذود عن حياضه وعن ثوابت الأمة ومقدساتها وصيانة الأجيال من الضياع والتيه وإعادة النظر في بناء الفرد والأسرة والتحذير من عوامل الهدم والفتنة .

٤. الاهتمام بمناصحة ولاة الأمور بالأساليب النافعة لتعريفهم بواجبهم نحو دين الله عز وجل ونحو من ولاهم الله عز وجل أمرهم وبيان العواقب الوخيمة المترتبة على شيوع الفساد والظلم وموالاة أعداء الله سبحانه وعدم الاحتكام إلى شرع الله تعالى .. إلى غير ذلك مما يجب أن يكونوا على علم به.

٥. السعي الجاد إلى تحسين العلاقة بين الحكام والعلماء والدعاة إلى الله سبحانه، حتى يمكن استثمار الإمكانات المتوفرة عند الجميع في خدمة الإسلام وحتى لا يترك للأعداء وأصحاب المصالح المادية وذوي الأهواء مجال لإفساد ذات البين وإحداث هوة مفتعلة بين الحكام والدعاة، قائمة على سوء الظن.

٦. أن يكون لقضايا الساعة اهتمام خاص لمواجهة كل جديد فيما يتعلق بالإساءة إلى ديننا في أي شكل من أشكال الإساءة وأن يتم التعامل مع كل حدث بما يتناسب معه لدفع كل باطل وافتراء وبهتان وبكل الوسائل المتاحة مقرونة بكشف ما عند الخصم اليوم من أباطيل وترهات تتصادم مع العقل والفطرة وما يصنعونه في حق غيرهم من استباحة كل شيء في الوقت الذي يرفعون فيه شعارات جوفاء لا تمت إلى الواقع بصلة .

٧. بيان مواقف المسلمين على مدى التاريخ من أهل الكتاب المسالمين من العدل والإنصاف وحسن التعامل وحماية من يعيش تحت كنفهم والدفاع عنه.

٨. بيان مواقف أهل الكتاب من المسلمين عند تمكنهم من الأذى بل من السيطرة على المسلمين والتذكير بالمجازر الوحشية التي مارسوها في الحروب التي قامت بينهم وبين المسلمين والتي أطلق عليها اسم الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش في الأندلس وغير ذلك

٩. موقف القرآن المنصف من أهل الكتاب فهو في الوقت الذي يكشف فيه عن انحرافاتهم على مدى التاريخ ومواقفهم مع أنبيائهم ومع خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام جميعاً، لا يهمل جانب الإنصاف في الثناء على أهل الإيمان منهم.

١٠. الاهتمام البالغ ببيان مكانة الرسول عند الله عز وجل، والواجب له على كل مسلم إيماناً، ومتابعة، وحباً ودفاعاً عنه، واستمساكاً بسنته.

(التوصيات):

بناء على أن الحرب بين الإسلام وخصومه لا تقف عن حد، ولا يحدها زمن معين، إذ قضية الصراع بين الحق والباطل سنة قائمة إلى يوم الدين فإنه لا ينبغي أن تكون هناك نظرة قاصرة في قضية المواجهة مع الباطل، ولا آنية، لأن الأعداء لا يمكن أن يكفوا عن الكيد والمكر والأذى، وبذل الجهود المتنوعة لحرب الإسلام.

وعلى هذا فلا بد أن تنظر الجماعات الإسلامية إلى القضية نظرة بعيدة المدى، وأن تعمل لمستقبل طويل تسير على منهجه قوافل الدعاة في المستقبل، ومن هذا المنطلق أرى الأتي:

أولاً: أن يتم التشاور الجاد بين قيادات الجماعات الإسلامية فيما يتعلق بالتعاون والتنسيق فيما بينها ،سواء في هذه القضية بنت الساعة – أو في غيرها من القضايا العامة والمصيرية والتي تحتاج إلى تكاتف الجهود

والصدور فيها عن رأي موحد، وجهود متكاتفة، على أن يبقى لكل جماعة خصوصياتها واهتماماتها في خدمة الإسلام وتحقيق الأهداف التي رسمتها لنفسها ليحصل بكل ذلك التكامل في الدعوة إلى الله عز وجل.

ثانياً: إنشاء دور علم في صورة كليات أو جامعات – إن أمكن في عدد من الأقطار الإسلامية، تعني بتخريج الدعاة المؤهلين القادرين على القيام بهذه المهمة الجسيمة عن علم وبصيرة على سنن الهدى، على أن لا يلتحق بها إلا أفراد من أصحاب المواهب المتميزة والنادرة والذين يحملون من الصفات ما تؤهلهم لتحمل هذه المسئولية ذات الأهمية البالغة بحيث تكون مهمتها قاصرة على حمل الدعوة إلى الله، خاصة فيما يتعلق بالتصدي لأباطيل الأعداء، وحماية الأمة وصيانتها من أي فكر وافد، أو طعون موجهة إلى الإسلام، ويمكن أن يتم وضع منهجها من قبل من لهم باع واسع في هذا المجال، على أن يكون من أولويات هذا المنهج، العناية بالكتاب والسنة إلى جانب دراسة كل ما كتبه المستشرقون وكل ما يصدر عنهم من جديد وعلى أن يتم تعلم بعض اللغات الأجنبية الحية، بالإضافة إلى كل ما هو ضروري في هذا الصدد، ومن أهم ذلك ربط الإسلام بالواقع المعاصر، والعناية بكل المستجدات والتأهيل الذي يجعل الداعية قادراً على مواجهة كل جديد.

ثالثاً: إنشاء مراكز دعوية في عدد من الأقطار الإسلامية أيضاً، مزودة برجال العلم والدعوة ممن لهم خبرة وتجارب في مجال الدعوة إلى الله عز وجل، على أن تكون هذه المراكز مزودة بكل الوسائل المعاصرة الحديثة التي تعين على دقة الإنجاز وسرعته، وتمكن من القدرة على سرعة

الاتصال بالعالم من حولها، وتدعم أيضاً بمجموعة من الشباب الغيور على دينه ليكونوا عاملاً مساعداً لإنجاز الأعمال المنوطة بهؤلاء العلماء والدعاة ويفضل أن يكون فيهم من يجيد بعض اللغات الأجنبية، شريطة ألا يشغل أي من القائمين على هذه المراكز بشيء سوى قضية الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى،مع الأخذ في الاعتبار أهمية إنشاء مكتبة تتناسب مع هذه المهمة الجليلة مع مطبعة مستقلة بكل قطر.

رابعاً: وضع نظام داخلي لهذه المراكز يراعى فيه خصوصيات كل قطر إسلامي في الأمور التي قد لا تكون محل اتفاق والتقاء وتوافق من حيث الوسائل والأساليب الدعوية، ويقدم في كل مركز أهل بلده فهم أهل الخصوصية في هذا المجال وعلى أن تحظى الدعوة في صفوف المسلمين بحظ وافر، لإعادة الأمة إلى دينها وحملها على النهوض بواجبها، في الدفاع عنه.

خامساً: تشكيل مجلس أعلى من جميع الجماعات، يضع لنفسه نظاماً داخلياً،تكون من أولويات مهماته اللقاء الدوري للتشاور في كل جديد، سواء فيما قد يطرأ على بعض أفراد الجماعات مما قد تواجه في الساحة من عقبات أو ما تتلقاه من صدأ أو إيذاء أو مطاردات أو نحوها أو في كل جديد بالنسبة للتطاول على الإسلام، وما قد يحدث من مواقف معادية من الخصوم وكذا التشاور في القضايا التي قد تحدث داخل الجماعات نفسها والتي قد تعيق العمل وتكدر صفوه أو تسبب إضعاف العلاقة او العمل في الساحة.

إضافة إلى أن الاستمرار في الاجتماع والتشاور يفوت على الأعداء الوقيعة بين الجماعات، كما يفوت على الشيطان إحداث سوء الظن المؤدي إلى فساد ذات البين .

سادساً: يسبق كل ذلك مسح ميداني للطاقات المنثورة في العالم الإسلامي – وما أكثرها – وبخاصة داخل الجماعات على أن لا يقتصر القيام بهذه الأعباء على أبناء الجماعات الإسلامية فحسب، فربما يكون خارجها من هو أكثر قدرة وأوفر علماً وفهماً ودراية ممن يستغني عنه والمسؤولية مسؤولية الجميع فخدمة الإسلام ليست قاصرة على فرد أو جماعة، وليس لأحد وصاية على هذا الدين.

سابعاً: لا بد من العناية بدراسة أحوال المسلمين في كل قطر،وتحديد مكامن الإنحراف والضعف عند كل قطر، إذ أن وصف الدواء متوقف على تشخيص الداء، مع العناية بالتعرف على جهود العلمانيين، الذين عملوا ويعملون على إقصاء الدين عن كل مناحي الحياة، وتحجيم دور الدعاة إلى الله سبحانه.

ثامناً: تشكيل وفد أو وفود من العلماء لزيارة الحكام، وإطلاعهم على توجه الجماعات في إصلاح الأوضاع، وتربية الأمة، وحماية الدين والقيام بالدعوة إلى الله عز وجل بما لا يخرج عن منهج الكتاب والسنة، والتصدي لتطاول الأعداء.. إلخ وطلب إفساح المجال للدعاة للقيام بمهمتهم والدعم المادي والمعنوي لإنجاح هذه المهام التي تساعد على استقرار الأوضاع، وتفوت على الأعداء مطامعهم وتقلل من مظاهر الجريمة في المجتمعات وتخفف على الحكومات عناء ملاحقة ومطاردة

المجرمين والمنحرفين، مع العناية بتربية الشباب حتى يكونوا أداة صالحة لخدمة دينهم وأمتهم

تاسعاً: فتح باب الحوار مع الخصوم لإقامة الحجة عليهم، وللتعريف بالإسلام بالطريقة المنصفة التي تظهر حقيقته، وتفند الأباطيل الملصقة به زوراً وبهتاناً، وتكشف للعالم المحجوب عن المعرفة الصحيحة للإسلام حقيقة ما يقوم به الموتورون من إخفاء الصورة المشرقة للإسلام، بقصد الصد عن دين الله، وغرس العداوة والبغضاء نحو الإسلام وأهله، وإيجاد نوع من التوتر والنفور عن الإسلام.

عاشراً :السعي الجاد لمحاولة إصلاح المناهج التعليمية في المدارس والجامعات، وتنقيتها من كل ما يمس العقيدة أوالأخلاق أو التاريخ أوغيرها بما يضمن تخريج أجيال ذات معرفة صحيحة لدينها، غيورة عليه، حاملة للواء الدعوة إلى الله عز وجل، مساعدة على رفع المعاناة عن أمتها

الحادي عشر: تبني طبع ونشر الرسائل العلمية (الدكتوراه والماجستير) ذات الطابع الذي يساعد على إنجاح مهام الجماعات في توجهها، ويمكن القيام باختصار بعضها لتحقيق المطلوب في أيسر وقت، مع تمكين المهتمين من سرعة الاطلاع وفهم المراد منها، وهذه ستعالج كثيراً من قضايا الساعة.

الثاني عشر: توجيه الدارسين في الدراسات العليا بالكتابة في القضايا المعاصرة لمعالجتها من خلال رسائلهم العلمية، فإن ذلك يوفر جهداً ووقتاً كبيرين للعاملين في حقل الدعوة إلى الله سبحانه، حتى لا تظل

الدراسات العليا محصورة في قضايا وموضوعات قد ماتت وانتهت، بعيدة عن واقع الأمة ومعاناتها.

الثالث عشر: توفير الإمكانات المادية لمواجهة الاحتياجات، ويستنفر لذلك من منحهم الله عز وجل بسطة في المال، بحيث لا يتم الإقدام على العمل إلا بعد ضمان الاكتفاء الذاتي لسد احتياجات العمل، مع محاولة الاستثمار لما أمكن مما يجمع لهذا العمل، كي لا يظل العمل عالة على الآخرين، مما قد يعرضه للتعثر والذبول.

رابع عشر: لا بد من إقامة مؤتمر – شبيه بهذا – بين كل فترة وأخرى، لدراسة سير الأعمال، ومدى الإنجازات التي تم تحقيقها، ومعرفة العقبات التي تعترض الطريق، والاطلاع على الجوانب الإيجابية والسلبية،وتدارس إمكان التغلب على الصعوبات، إلى غير ذلك مما يستوجب إقامة مثل هذا اللقاء.